مجلة رؤى مستقبلية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 2992 - 1449.
EISSN : 2992-1996
المجلد 03 / العـدد: 01 (2026)، ص 27- 37

# تحولات صورة الانسان في الفلسفة الحديثة، من الانسان المفكر إلى الانسان الأخلاقي

# The Transformations of the Image of the Human Being in Modern Philosophy: From the Thinking Human to the Moral Human

**سعاد بن سعدية***

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي ، معسكر (الجزائر)، العنوان الالكتروني **souad_bensadia@univ-mascara.dz**

تاريخ الاستلام: 2026/03/07 تاريخ القبول: 2026/05/03 تاريخ النشر: 2026/06/19

**ملخص:** تمثل الفلسفة رؤية للإله والكون والإنسان، هذا الأخير الذي كان موضوع بحث رافق التفكير الفلسفي منذ القدم، فبحث الفلاسفة عن معنى وجوده، حريته وعلاقته بالعالم والآخرين، فلإنسان لم ولن يكف عن بناء ذاته وتصوراته عنها مع الفلسفة الحديثة تحول الإنسان من مجرد موضوع يدرس في إطار البحث اللاهوتي والميتافيزيقي إلى سؤال قائم بذاته، اي من مجرد كائن موجود في العالم إلى مركز لكل تفكير فلسفي، ليصبح ذات فاعلة ومصدرا للمعرفة

سنتناول في هذه المداخلة سؤال الإنسان في الحداثة انطلاقا من ثلاث مقاربات فلسفية مختلفة عن فهم الذات الإنسانية انطلاقا من الإنسان كذات مفكرة مع ديكارت، والإنسان كجزء من الطبيعة مع سبينوزا، والإنسان ككائن أخلاقي مع كانط مع طرحنا لهذه التصورات الثلاث يجوز لنا طرح الإشكالية التالية:

كيف مثلت الحداثة تصورا فلسفيا مختلفا عن مفهوم الإنسان؟ كيف يفهم الإنسان بين تعالي ديكارت، وضرورة سبينوزا، ومسؤولية كانط؟

**كلمات مفتاحية:** الذات الانسانية؛ الانسان؛ الاخلاق؛ المعرفة

**Abstract:**

Philosophy is an integral vision of God, universe and human being (the central subject matter of philosophy since the earliest times). For a long time, philosophers have attempted to uncover the meaning of human life, human freedom, and the individual's relation to the world and others. Throughout various intellectual phases, a human being has never stopped constructing and reconstructing their own self. The emergence of modern philosophy led to the radical re-conception of the human being and the subsequently of the world. Rephrase More Undo The human stopped being an object of research and became a question in itself, the of the question. It no longer is merely an object of the theological or the metaphysical. Thus, the human being was changed from being a creature in the world to an active subject and a source of knowledge.

Rephrase More Undo A human being is not a means but an end in themselves, thus grounding human dignity and moral responsibility in them.

From these three perspectives, the following problem can be formulated: How did modernity establish a new philosophical conception of the human being? And how can the human be understood between Descartes' transcendental self, Spinoza's necessity, and Kant's moral autonomy and responsibility?

**Keywords:** self-humanity; human; morality; knowledge

*سعاد بن سعدية **souad_bensadia@univ-mascara.dz**

**مقدمة:**

يعتبر الإنسان أحد أهم المواضيع الفلسفية التي رافقت التفكير الإنساني منذ القدم، وموضوعا خصبا للبحث المستمر والمتجدد للتفكير الفلسفي، فمن خلال الإنسان تطرح قضايا المعرفة والأخلاق والسياسة وتعالج إشكالات عن الحرية والكرامة والعدالة ...الخ

واذا كان فعل التفلسف يبدأ بالدهشة والحيرة فإن أهم موضوع حير الإنسان هو الإنسان نفسه، فراح يتساءل عن ذاته ومعناه ووجوده ومكانته في الوجود وعلاقته به ولو انه في بعض اللحظات الفلسفية لم يشكل الإنسان محور العملية الفلسفية، مثلا في الفلسفة اليونانية كان سؤال الوجود هو التساؤل المركزي آنذاك، إلا انه في نهاية المطاف يرتد سؤال الوجود إلى سؤال الإنسان في علاقته بهذا الوجود مثلا، لكن ما نتفق عليه هو أن سؤال الإنسان في الفكر الفلسفي الحديث ، كان هو السؤال الجوهري والمركزي في تلك الفترة

مع الفلسفة الحديثة تحول الإنسان من مجرد موضوع يدرس في إطار البحث اللاهوتي والميتافيزيقي إلى سؤال قائم بذاته، اي من مجرد كائن موجود في العالم إلى مركز لكل تفكير فلسفي، ليصبح ذات فاعلة ومصدرا للمعرفة

سنتناول في هذه المداخلة سؤال الإنسان في الحداثة انطلاقا من ثلاث مقاربات فلسفية مختلفة عن فهم الذات الإنسانية انطلاقا من الإنسان كذات مفكرة مع ديكارت، والإنسان كجزء من الطبيعة مع سبينوزا، والإنسان ككائن أخلاقي مع كانط

مع طرحنا لهذه التصورات الثلاث يجوز لنا طرح الإشكالية التالية:

كيف مثلت الحداثة تصورا فلسفيا مختلفا عن مفهوم الإنسان؟ كيف يفهم الإنسان بين تعالي ديكارت، وضرورة سبينوزا، ومسؤولية كانط؟

**فرضيات الدراسة:**

انطلقنا في دراستنا على جملة من الفرضيات يمكن صياغتها على النحو التالي:

_ ان الفلسفة الحديثة لم تقدم تصورا ثابتا للإنسان بل شهدت صورة الإنسان في تلك الفترة تحولات عميقة مرتبطة بتحولات المرجعيات المعرفية والانطولوجية والأخلاقية

_ أن ديكارت أسس لصورة الانسان بوصفه ذاتا مفكرة مستقلة عن العالم الطبيعي، مما كرس مركزية الوعي والعقل في تعريف الإنسان

_ أن سبينوزا قام بنقد تصور ديكارت للإنسان، وأعاد إدراجه ضمن نسق الطبيعة باعتباره نمطا من أنماط الجوهر، مما أدى إلى تقويض ثنائية النفس والجسد

_ أن كانط أعاد بناء صورة الإنسان على أساس أخلاق المسؤولية، جاعلا من الإنسان كتئنا عاقلا وأخلاقيا قادرا على التشريع الذاتي

**منهج الدراسة:**

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي النقدي، فقد قمنا بتحليل النصوص الفلسفية لديكارت وكانط وسبينوزا والكشف عن المفاهيم التي تبني تصور كل منهم للإنسان، أما النقد اعتمدناه من اجل رسم حدود كل تصور وابرز إسهاماته وإشكالاته في بناء مفهوم الإنسان داخل الفلسفة الحديثة

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

_ الكشف عن تحولات صورة الإنسان في الفلسفة الحديثة من خلال ثلاث نماذج

_ إبراز الأسس الفلسفية التي قام عليها تصور الإنسان في الفلسفة الحديثة عند ديكارت وسبينوزا وكانط

_ بيان كيف أسهمت الفلسفة الحديثة في إعادة تعريف الإنسان خارج الأطر اللاهوتية التقليدية

_ الإسهام في إثراء النقاش الفلسفي حول مفهوم الإنسان بوصفه سؤالا مفتوحا لا تعريفا نهائيا

**أهمية الدراسة:**

تتجلى اهمية هدا البحث فيما يلي:

_ المساهمة في توضيح أحد اهم اشكالات الفلسفة الحديثة وهو اشكال الإنسان

_ ابراز التحول من مركزية العقل إلى اندماج الإنسان في الطبيعة ثم إلى تأسيس الأخلاق

_ يقدم البحث قراءة تجمع بين ثلاث تصورات مركزية في الفلسفة الحديثة

_ يفتح البحث افق التفكير في موقع الإنسان المعاصر، خاصة في ظل ازمة المعنى والتقنية والهوية

**1. الانسان في الفلسفة اليونانية**

اهتم السفسطائيون بالإنسان بعد أن كانت الطبيعة محل اهتمامهم، فردوا كل شيء إلى الإنسان وحده، فقد أكد بروتاغوراس على دور الذات الإنسانية في المعرفة عندما قال أن الإنسان هو مقياس الأشياء جميعا، فقد أرادوا جعل الإنسان مقياسا للطبيعة بعد أن كان العكس وكان الوجود الإنساني غير مستقل عن الوجود الخارجي، أما من الناحية الأخلاقية فقد رأى السفسطائيون أن الإنسان هو معيار الخير والشر، فالخير خير بالنسبة له والشر شر بالنسبة له، وهذا طبعا فيه إقرار بنسبية الأخلاق والفضيلة

أما سقراط فقد نظر إلى الإنسان على أنه كائن عاقل، فقد قدس العقل ودعا إلى توظيفه في مجال المعرفة، ومعرفة الذات الإنسانية، والغور في كنهها "سقراط أول من اهتم بالإنسان ككائن عاقل في الفكر اليوناني القديم ووجهه للبحث في التصورات والماهية والفضيلة بحثا تأمليا عقليا، والذي نلتمس فيه بوادر نزعة إنسانية متأصلة" (الدواودة حمزة نايلي، 2023، ص 17) فكان يرى أن العقل هو الذي يساعدنا على إدراك حقيقة الأشياء والكشف عن ماهيتها الثابتة التي لا تتغير، وتساعده في إدراك الفضيلة وتوجه سلوكه نحو الخير وترشده إلى الفضيلة، طبعا وفق مبدأ سقراط اعرف نفسك بنفسك، أي اعرف ما

يناسب عقلك بصفتك إنسان عاقل قادر على التمييز بين الخير والشر وإصلاح ذاته، وحفظ كرامته الإنسانية

اختلف تصور أفلاطون للإنسان بحيث جعله يتكون من جوهرين مستقلين نفس وبدن، والنفس هي نقطة الالتقاء بين عالم المثل وعالم الحس، وان الجسد هو سجن للنفس يحول دون وصولها للمعرفة والفضيلة، هذه الأخيرة جعلها أفلاطون غاية الإنسان العاقل

النفس جوهر روحي متميز قائمة بذاتها بمعزل عن جسدها وعن الطبيعة، مدركة لكل ما هو روحي، ولا تحقق الفضيلة إلا إذا تحررت من الجسد وهي غير فانية مقارنة بالجسد الذي يفنى ويزول، وان المعرفة الإنسانية خاصية إنسانية مرتبطة بالعقل والعقل العارف، وأسمى صورها هو معرفة عالم المثل

**2. النزعة الانسانية**

النزعة الإنسانية هي حركة ظهرت في عصر النهضة في ايطاليا أولا في القرن 14، ثم انتشرت في باقي أوربا وبلغت ذروتها، في القرن 16 في عصر النهضة، يعرفها هيدجر بأنها "ذلك التأويل الفلسفي للإنسان الذي يفسر ويقيم كلية الوجود انطلاقا من الإنسان وفي اتجاه الإنسان، إنها تلك الفلسفة التي تضع الإنسان في مركز الكون عن قصد ووعي وتعتقد من خلال تأويلات ميتافيزيقية معينة للوجود في إمكانية تحرير قدراته وتامين حياته والاطمئنان على مصيره"(الدواودة حمزة نايلي، 2023، ، ص 16) فهده النزعة تجعل الإنسان غاية ذاته ومصدرا للمعرفة وتمجده وتعطيه أعلى قيمة في الوجود، وجاءت في مجملها كنوع من الثورة على العصور الوسطى وعلى سيطرة الكنيسة ورجال الدين على كل أنواع المعرفة والفلسفة، وعلى هيمنة الدراسات اللاهوتية على الدراسات الإنسانية في تلك العصور باعتبار العلوم الإلهية اشرف من العلوم الإنسانية، وجد الإنسان نفسه في عصر الكنيسة قد "أسرف في البحث عما يدور حوله في العالم وأسرف في الاهتمام بما قد يحصل له في العالم الآخر، وما يحصل له في العالم الذي يعيش فيه" (ابراهيم مصطفى ابراهيم،2000، ص 50) فظهر مجموعة من المفكرين عادوا للنصوص اليونانية والرومانية كنصوص أفلاطون وأرسطو وهوميروس، تلك النصوص التي كانت مهملة في عصر الكنيسة، ومنه فالنزعة الإنسانية في عصر النهضة هي "الثقافة التي ميزت ايطاليا في القرنين الرابع والخامس عشر، والتي انتقلت انجازاتها الفريدة بعد ذلك إلى كافة سرايا أوربا، وهي تتمثل في دراسة الأدب الإغريقي واللاتيني بوصفهما نمطا مثاليا من التربية والحضارة، إن الموقف الفكري المركزي للنزعة الإنسانية هو الرجوع إلى أصالة النصوص القدامى" (كحل مصطفى ، 2019، ص 102)، هذه العودة ولدت صراع بين رجال الكنيسة وبين المفكرين الثائرين على تقاليد الكنيسة واعتبروا خارجين عن المسيحية وعن التعاليم الإلهية، لكن هذه المعركة حسمت في عصر الحداثة لصالح فلاسفة ومفكري عصر النهضة الذين جعلوا من الإنسان مركز كل الاهتمامات والتساؤلات واعتبروا أن كل المعارف يجب أن تكون معارف تعلي من شأن الإنسان وتسخر لخدمته فقد " أدرك بأن ما لديه من قوى كامنة كافية لتحقيق سعادته واخذ يبحث عن الوسائل للتعبير عن ذاته بقوة ووضوح ولذلك عرفت الحركة الإنسانية لاهتمامها بالإنسان الفرد وتحقيق ذاته في هذه

الحياة الدنيا وفقا لما أوتي من إمكانيات طبيعية" (ابراهيم مصطفى ابراهيم، 2000، ص 50) فجاءت النزعة الإنسانية تطالب بحرية الإنسان وحقه في التمتع بالحياة الدنيا، وتحريره من اللامساواة والاضطهاد ل"تعطي الأولوية للخبرات الإنسانية والحية وتعلي من قيمته وتنظر إليه على انه سيد الطبيعة وأعلى الموجودات، كما تهتم بتصوير الطابع الدراسي للحياة الإنسانية، وتتخذ الرؤية الإنسانية باعتبارها مقياسا لكل شيء، بعد أن كانت الرؤية اللاهوتية هي المسيطرة في العصور الوسطى" (الدواودة حمزة نايلي، 2023، ، ص16)

**3. الإنسان كذات مفكرة مع ديكارت**

تجلت مركزية الإنسان بصورة واضحة في الفلسفة الغربية الحديثة مع ديكارت، بحيث أصبح الإنسان سيدا للطبيعة ومالكها، ومحركا للتاريخ، ومستقل الذات، أي أصبح الإنسان ينظر لنفسه كذات واعية قادرة وفعالة، وحل مكان العقل اللاهوتي العقل الإنساني بصفته الأصل والمرجع في المعرفة، والوجود

تعتبر اللحظة الديكارتية لحظة ذاتية بامتياز، فقد أعاد الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر، أنا موجود"، الاعتبار للانا، ان "الانا افكر" لا تعبر فقط عن نشاط ذهني، بل حضور وجودي يقيني، فبمجرد الشك في كل شيء يقود إلى اثبات وجود الذات الشاكة، وهنا يظهر التحول من الفلسفة الموضوعية إلى الفلسفة الذاتية، حيث تصبح الانا اساسا للمعرفة، بوصفها مدركا للوجود من خلال ذاتها، طبعا هذا الكوجيتو لم يكن نقطة انطلاق في فلسفة ديكارت بل كان نتيجة طريق طويل من الشك المنهجي، هذا الشك الذي أدى به في نهاية المطاف إلى الأنا أفكر، أي الإنسان بصفته ذاتا مفكرة، قبل الاعتماد على العالم الخارجي، او الحواس التي قد تخدعنا، جاعلا من الفكر معيارا للحقيقة، ليصبح جوهر الإنسان مع ديكارت هو التفكير النابع من ملكة العقل باعتبارها مشتركة عند جميع الناس، وقوة فطرية، فيعوز ديكارت ملكة التفكير إلى النفس باعتبارها جوهرا ماهيته الفكر، ويميزها في المقابل عن البدن الذي اعتبره جوهرا ماهيته الامتداد، فالإنسان عنده حصيلة الجمع بين روح ماهيتها أنها فكر خالص، وآلة جسمية مستقلة في وظائفها الحياتية، ورغم ذلك نجده يحافظ بشدة على مفهوم الاتحاد بينهما، وهو اتحاد يعرفه كل إنسان من نفسه من غير حاجة إلى فلسفة" ( جنيفياف رودليس لويس، 1988، ص 82)، أي أن ديكارت إلى هنا، وعن طريق الشك الذي أوصله إلى الكوجيتو قد اثبت وجود الإنسان كفكر فقط، هذا ما جعله يعرف الإنسان في كتاب التأملات "على انه فكر خالص، بينما يبقى وجود الجسد موضع شك" (المرجع نفسه، ص 63)

ديكارت كان ينظر إلى الذات الإنسانية على أنها "الوعي الذي يؤلف بين الذات العارفة والأشياء المُدركة"(العربي ميلود، 2010- 2011، ص 36). هذه النظرة تمثل الذات باعتبارها الكائن العارف في مقابل الموضوع أو الشيء المعلوم. هنا أعاد ديكارت للإنسان ذاتيته أو كينونته، وجعل الإنسان مركزًا للوجود، مدافعًا عن أن " إينية الإنسان تحدد من خلال ذاته، أي بما هي وعي متعال، قادرة على تحقيق وجودها

الفعلي دونما الاعتماد على جواهر مفارقة"(العربي ميلود، 2010- 2011، ص 39) ."وقد كان لهذا التأصيل للذات تأثير عميق في تاريخ الفلسفة، حيث شكل الأساس الذي بُنيت عليه العديد من النظريات في الإنسان، في موقع اخر يقول ديكارت "العقل أعدل الاشياء قسمة بين الناس" (ديكارت، د ط، ص 45) وهنا يؤكد ديكارت على تصور ديكارت للطبيعة الانسانية، من حيث ان جميع البشر يشتركون في ملكة العقل، مما يجعلهم متساوين من حيث القدرة على التفكير، غير ان الاختلاف بين الناس لا يعود إلى تفاوت في امتلاك العقل بل في طريقة استخدامه،

كما قلنا سابقا فان ديكارت اثبت وجود الإنسان أو الذات الإنسانية كنفس فقط، أو كماهية فكرية، بعيدا عن وجود الجسد فيقول "انني لست هذا الجسم الذي يمكن الشك فيه، بل أنا شيء مفكر" (ديكارت، 1986، ص 78) ،فقد كتب التأملات لبيان علاقة الانفصال أو التمييز بين النفس والجسد، قول ديكارت يعكس التمييز الجذري الذي يقيمه بين النفس والجسد، حيث يجعل ماهية الإنسان قائمة على الفكر لا في الامتداد الجسدي، فالانسان كائن يتميز بالوعي والشك والتفكير، طبعا هذا التصور يؤدي لاختزال الإنسان في بعده العقلي ويؤسس لما يعرف بالثنائية الديكارتية، حيث ينفصل العقل عن الجسد، لكنه فيما بعد تفطن إلى ضرورة بيان العلاقة بينهما، نظرا لأنهما معا يحققان وجود الإنسان، وهذا ما نجده في "الانفعالات" مُحاولا إيجاد مبرر لعلاقة النفس بالجسد في الإنسان، فقال "وجودي كشيء مفكر لا يثبت بذاته وجود بدني، دع عنك الأجسام الأخرى، لكنني أجد في نفسي ملكات وتفاعليات معينة مثل القدرة على تغيير موضعي، والقدرة على الحركة الموضعية بوجه عام، وهو ما يعني بوضوح وجود الجوهر الجسماني أو الممتد، أي البدن" (كويلسون فرديريك ،2013، ص 168) ومنه وجود الإنسان كجسد وروح جعل ديكارت يُنظر لمسألة علاقة النفس بالجسد على مستوى آخر لا يكون متناقضا مع نتائج التأملات و لكنه يكون مكملا له وهذا ما عبر عنه في "الانفعالات"، فالإنسان من حيث هو جسد يخضع للتّحديد العام الذي يعطيه ديكارت للجسم كامتداد، ومن حيث هو روح يخضع لتحديد النّفس كفكر محض و خالص إذ يقول " فأنا لست فحسب اسكن بدنا كما يسكن الربان في سفينة، وإنما أكون متحدا به بشكل وثيق للغاية، وأكون ممتزجا ب إن جاز التعبير لدرجة إنني أبدو مشكلا معه كلا واحدا، لأنه إذا لم يكن الأمر على هذا النحو، فان بدني عندما يتعرض للأذى، لا ينبغي حينئذ أن اشعر بالألم باعتباري موجودا مفكر فحسب"(كويلسون فرديريك ،2013، ص 174)، وهنا جمع ديكارتيين جوهرين احدهما لامادي جوهره التفكير، ذو طبيعة روحية خالدة، وهو النفس، مع آخر مادي جوهره الامتداد، خاضع لقوانين ميكانيكية، قابل للفناء، باعتبار هذا الجمع ممثلا في الإنسان، وهذا التأثير المتبادل يتم عبر الغدة الصنوبرية فهي تتوسط الروح والجسد، فالنفس تؤثر في حركات الجسد عن طريقها والجسد ينقل إليها الانطباعات الحسية بالطريقة نفسها.

### 4. الإنسان كجزء من الطبيعة عند سبينوزا

يصرح سبينوزا في البديهية الثانية من الجزء الثاني بان "الإنسان يفكر"(سبينوزا، د.ت، ص 87)، لكن الفكر عنده ليس ماهية وإنما هو مجموعة من الأفكار على عكس ديكارت الذي يرى أن الفكر هو ذات مفكرة فالإنسان بالنسبة له قد يفكر وقد لا يفكر، لان الفكر لا يحدد ماهيته، لذلك بالنسبة له المجنون والطفل إنسان أيضا، وكذلك يرفض سبينوزا رؤية ديكارت التي تجعل الانستن كيانا مستقلا ومتعاليا عن الطبيعة، وفي هذا يقول "الإنسان ليس دولة داخل دولة" (سبينوزا، 2005، ص 123) فلانسان في نظره ليس كائنا خارج عن قوانين الكون، بل هو جزء من الطبيعة وخاضع لقوانينها، وضروراتها، رافضا بذلك فكرة الحرية المطلقة الديكارتية ، مستبدلا اياها بفكرة الضرورة، فالانسان يعتقد انه حر فقط عندما يجهل اسباب افعاله، وهنا يعاد تعريف الإنسان بانه كائن طبيعي تتحدد افعاله وفق نظام كوني شامل، هذا التعريف يفتح المجال لفهم جديد للانسان يقوم على الوحدة بين الفكر والجسد بدل الفصل بينهما

يحيلنا المنطق اللاهوتي الأنطولوجي لسبينوزا إلى معرفة ماهية الوجود الإنساني بصفة عامة، والوجود الجسدي له بصفة خاصة، لان رفضه لثنائية الروح والجسد، والقول بالوحدة بينهما منبعه أساسا رفض ثنائية الله والطبيعة والقول بالوحدة بينهما إذ يعني سبينوزا دائما بكلمة الجوهر الطبيعة والله معاءفهو يتصور أن الطبيعة والله هما وجهان لنفس العملة، أي أن كل الأشياء تتألف من طبيعة الله الخالدة اللانهائية "فالإله والعالم جانبان لشيء واحد، ووجهتا نظر في الكون، إذا نظرنا إليه من حيث كونه مادة وجدناه أنه عالم مادي وإذا نظرنا إليه من حيث انتظامه وغائيته المقصودة وجدنا أنه إلوهية" (منصور اشرف،2013، ص 45) وهنا يميز سبينوزا بين الطبيعة الطابعة، التي تعني الإله وهي قائمة بذاتها وتدرك من خلال ذاتها، وهي التي تطبع الأشياء بصفاتها وأحوالها، كالتغذية والنمو للنبات، والإحساس والإدراك للحيوان، والعقل والتفكير للإنسان وكل شيء أو كائن بالقوى الخاصة به، وفق نظام وغائية معينة، أما الطبيعة المطبوعة فهي كل ما يخضع للضرورة الإلهية، من مخلوقات وموجودات

يقبل سبينوزا مقولة أن الإنسان حيوان ناطق، إذ يمثل الجانب الحيواني فيه الجسد، والنطق ناتج عن عملية فكرية عقلية، « فإذا نظرنا إليها من حيث أنه كائن عاقل مفكر وناطق فسوف يظهر على أنه روح، وإذا نظرنا إليه على أنه كائن عضوي بيولوجي فسوف يظهر على انه جسد» (منصور اشرف،2013، ص 53) هذه المقولة تعبر عن الاتحاد القائم بين الروح والجسد، علاقة النفس بالجسد هي علاقة توازي بين ضربي الفكر والامتداد فبالنسبة له لا النفس تؤثر في الجسد ولا الجسد يؤثر في النفس ، فبالنسبة له هناك تأثير متبادل بين الجسد والنفس دونما تفضيل ضرب على الضروب الأخرى، فهناك تطابق بين النفس والجسد، فلا النفس أسمى من الجسد ولا هو أسمي.

يقول سبينوزا في القضية السابعة من الجزء الثاني "إن نظام الأفكار وترابطها هو عينه نظام الأشياء وترابطها"(سبينوزا، د.ت، ص 93) إذ هناك توازي بين الأفكار والانفعالات عند سبينوزا وهو تطابق أو تناظر

بين ضربين هما في الواقع شيء واحد، على حد تعبير سبينوزا فمثلا الفرح الباطني يتضح لنا من خلال تسارع دقات القلب، فالنفس والجسم هما في الواقع شيء واحد، ننظر إليه تارة من صفة الامتداد وتارة أخرى من صفة الفكر، لذلك نجد تطابق بين نظام أفعال الجسم ونظام أفعال الروح لأنهما يخضعان لنفس مبدأ السببية

يرى سبينوزا أن "كل شيء يسعى بقدر ما هو فيه، إلى ان يحافظ على بقائه" (سبينوزا، 2005، ص150) انه مبدأ الكونتاوس، والذي يعني ان الإنسان كغيره من الكائنات تحركه رغبة اساسية للحفاظ على وجوده، نابعة من ضرورة الطبيعة، ومن هنا تصبح افعال الإنسان مفهومة في اطار السعي إلى البقاء، وليس في اطار الحرية المطلقة، فالإنسان ليس حرا ولا يملك إرادة حرة، لأنه لا يفعل حسب ضرورة طبيعته وحدها، فهو خاضع لضرورة الطبيعة، لأنه ليس هناك شي حر سوى الطبيعة والإله، والإنسان يعتقد بحريته، لأنه يشعر بخصوصية أفعاله ويجهل الأسباب المتحكمة فيها، وحرية الإنسان مقترنة بفهمه للضرورة، فالإنسان حر بقدر ما يعي عقله وخضوعه لله والطبيعة

### 5. الإنسان ككائن اخلاقي مع كانط

لا يمكننا الحديث عن الحداثة دون التطرق إلى ايمانويل كانط احد أبرز فلاسفة الحداثة الذين جعلوا من الإنسان محور التفكير الفلسفي، باعتبار أن فلسفته تقوم على ثلاث أسئلة كبرى ماذا يمكنني أن اعرف؟ وهو سؤال حول المعرفة يتضمن حدود العقل البشري وإمكاناته، أي ما يمكنه معرفته وما لا يستطيع معرفته، ماذا يمكنني أن افعل؟ وهو سؤال يبحث في مجال الأخلاق، والواجب الإنساني، أما السؤال الثالث ماذا يمكنني أن آمل؟، وهو سؤال في المجال الديني ومرتبط بفكرة الحرية والخلود ووجود الله، أي بوجود الإنسان ومصيره، وكل هذه الأسئلة يمكن أن تختزل في سؤال واحد هو، ما هو الإنسان؟ انه عند كانط الكائن العارف الممثل في العقل النظري، والإنسان ككائن أخلاقي حر ممثلا في العقل العملي، والإنسان المؤمن ممثلا في العقل الديني الذي يتجاوز ذاته نحو المطلق

يرى كانط أن "التنوير هو خروج الإنسان من حالة القصور التي اقترفها في حق نفسه" (كانط، ما الانوار، 2006، ص 11) اي أن يكسر الإنسان الأغلال التي تقيده والتي تجعله قاصرا وتحول دون استعماله لعقله، طبعا هذا القصور في نظره وهذه القيود هي من صنع الإنسان نفسه، ولا تعبر عن نقص في العقل بقدر ما تعبر عن نقص في الإرادة والشجاعة، والجرأة في استخدام العقل، طبعا هذا الاستعمال الجديد للعقل يقترن بشرط الحرية، أي لا نستطيع أن نستعمل العقل بجرأة ما دام الفرد مقيد، فالانسان الحقيقي هو الذي يملك الشجاعة الفكرية لاستعمال عقله بنفسه دون وصاية من الاخرين

رفض كانط الميتافيزيقا التقليدية ورأى أن العقل البشري لا يعرف إلا ما يقع في حدود التجربة الممكنة، وان المعرفة لا تكون إلا بما يمكن أن يعطى للحس ثم ينظم بالعقل "فالمفاهيم بدون حدوس عمياء، والحدوس بدون مفاهيم جوفاء" (كانط، 1988، ص 93) وهنا رفض صريح للنزعة العقلية الخالصة

وللنزعة التجريبية الخالصة، فالعقل لا ينتج معرفة حقيقية لانه يفتقر للمادة الحسية ، بينما التجربة بدون تنظيم عقلي تبقى مجرد معطيات حسية مبعثرة، من هنا يؤسس كانط لما يسمى بالتركيب القبلي حيث تتكامل الحواس والعقل في انتاج المعرفة، فالعقل يساهم في بناء المعرفة عبر مقولاته القبلية، فبدل أن تكون معرفتنا تابعة للأشياء جعل الأشياء هي التي تخضع لشروط المعرفة الإنسانية

يرى كانط أن الإنسان كائن أخلاقي حر، أي انه كائن عاقل يملك العقل والإرادة اللذان يمكنانه من الارتقاء من كائن طبيعي خاضع للغرائز والقوانين السببية، ليكون كائنا أخلاقيا يشرع القوانين انطلاقا من عقله الحر، "الإنسان غاية في ذاته، ولا يجوز ابدا معاملته مجرد وسيلة" (كانط، 2008، ص67)، فالانسان يتمتع بكرامة مطلقة لانه كائن عاقل قادر على التشريع بنفسه، ولا يجوز استخدامه كوسيلة لتحقيق غايات معينة، فهو ذات اخلاقية حرة ومسؤولة

أقام كانط فلسفته الأخلاقية على أساس الواجب، هذا الواجب إما يكون اتجاه الذات كحفاظ الإنسان على حياته، وكرامته، أو واجب تجاه الآخرين، أي الإحسان إلى الغير، وحفظ كرامتهم، إذن فأخلاق الواجب عند كانط تقوم على احترام القانون الأخلاقي بدافع الإرادة الخيرة وهنا يقول كانط أنه "من بين كل ما يمكن تصوره في العالم، وبوجه عام خارج العالم ليس ثمة ما يمكن اعتباره خيرا دون تحفظ ان لم يكن الإرادة الخيرة"(كانط، 2008،ص51) بعيدا عن المنفعة والمصلحة ، وحفظ الكرامة الإنسانية أي احترام النفس والآخرين كذوات عاقلة حرة، كغاية وليست وسيلة، وفي هذا يقول كانط "افعل على نحو تعامل معه الإنسانية في شخصك كما في شخص غيرك كغاية دائما، وفي نفس الوقت، لا كمجرد وسيلة البتة" (كانط، 2008،ص125) أي أن الفعل الأخلاقي عند كانط ليس مرتبط بالنتائج أو المصالح، وانه صالح لجميع البشر باعتباره صادرا عن العقل، فالقانون الأخلاقي ليس مفروضا على الإنسان من الخارج، بل داخلي المصدر، فأخلاق الواجب عند كانط تجعل من الإنسان كائنا حرا عاقلا، يشرع لنفسه القوانين الأخلاقية التي تعبر عن الكرامة الإنسانية

**خاتمة:**

مع الحداثة انتقل السؤال الفلسفي من الانشغال بالكون والله والوجود المطلق إلى البحث في الإنسان باعتباره ذاتا عارفة وفاعلة وحرة، ليصبح سؤال ما الإنسان سؤالا جوهريا عند فلاسفة الحداثة

جعل ديكارت من الكوجيتو "أنا أفكر إذن أنا موجود" أساسا لفلسفته، ليصبح الإنسان معه وعي مفكر، ماهيته الفكر، فقد ميز ديكارت بين النفس التي ماهيتها التفكير وبين الجسد الذي ماهيته الامتداد

أما سبينوزا فقد رفض استقلالية الإنسان المطلقة وجعله جزءا من نظام الطبيعة، خاضع لقوانينها الحتمية، ورأى أن الحرية المطلقة وهم، وان الحرية الحقيقية تتحقق عبر المعرفة العقلية التي تكشف عن ضرورة قوانين الطبيعة

سؤال ما هو الإنسان؟ هو محور فلسفة كانط التي أوصلته إلى أن الإنسان هو ذلك الكائن العاقل الحر والأخلاقي، الذي يعرف الظواهر وفق ما تقتضيه شروط العقل، والذي يشرع القوانين الأخلاقية لنفسه القائمة على أساس الواجب والإرادة الخيرة وحفظ الكرامة الإنسانية بعيدا عن المنفعة والمصالح الشخصية

غير أن سؤال الإنسان في الحداثة والذي أفضى إلى أن الإنسان ذات عاقلة، حرة وأخلاقية، دخل أزمة مع نيتشه حين أعلن عن موت الإنسان وحتى موت الإله، واعتبر صورة الإنسان التي جاءت بها الحداثة مجرد صورة وهمية، فالإنسان ليس مركزا للكون، ومع هيدجر الذي أعاد سؤال الوجود إلى الواجهة، واعتبر أن جعل الإنسان مركزا للكون افقد الإنسان علاقته الأصيلة بالوجود، ولخص مهمته في الحفاظ على الوجود بدل السيطرة عليه، وبذلك انفتحت الفلسفة المعاصرة على رؤى جديدة للإنسان تختلف عن الفلسفات والتصورات التي أفرزتها الحداثة عن الإنسان

**أهم التوصيات التي خرجنا بها في بحثنا هذا هي**

_ ضرورة توسيع البحث مستقبلا ليشمل تحولات صور الإنسان في الفلسفة المعاصرة

_ الدعوة إلى ربط تصورات الإنسان في الفلسفة الحديثة بالقضايا الراهنة، مثل التقنية والذكاء الاصطناعي

_ اقتراح دراسات تطبيقية تستثمر التصور الكانطي للانسان الاخلاقي في قضايا المسؤولية الكرامة الانسانية وحقوق الانسان

_ التأكيد على ان مفهوم الإنسان هو مفهوم ديناميكي يتغير بتغير السياقات المعرفية والتاريخية

**5- قائمة المراجع:**


1. ابراهيم مصطفى ابراهيم،(2000) الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية
2. الدواودة حمزة نايلي ، الإرهاصات التاريخية للنزعة الإنسانية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 14 ديسمبر ،2023
3. العربي ميلود، الذات والغيرية في فلسفة بول ريكور "رحلة البحث عن الذات من خلال الأخر"، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010- 2011
4. جنيفياف رودليس لويس (1988) ديكارت والعقلانية، تر: عبدو الحلو، ط4،منشورات عويدات، بيروت
5. ديكارت، مقال في المنهج، تر: محمود محمد الخضيري، دار النهضة العربية، بيروت لبنان
6. ديكارت (1986) تأملات ميتافيزيقية، تر: كمال الحاج، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط3
7. سبينوزا، الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس

8. كانط (2008) أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: محمد فتحي الشنيطي، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة
9. كانط (2006)، ما الانوار، تر: جلال الدين سعيد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1
10. كويلسون فرديريك (2013) تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز، مجلد4، تر: سعيد توفيق ومحمود سيد احمد، ط1المركز القومي للترجمة، القاهرة
11. كيحل مصطفى ، تحولات مفهوم الإنسان ، في فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة، مجلة بحوث ودراسات ،إسلامية المعرفة ،السنة الرابعة والعشرون العدد 95 شتاء 2019
12. منصور اشرف ،( 2013) سبينوزا ونقد العقل الخالص، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة